(٣)
النديم والعمل السياسى قبيل قيام الثورة العرابية

نظرا للبطش والاستبداد وأساليب القهر التى اتبعت فى مصر خلال حكم الخديو إسماعيل خشى رجال الحركة الوطنية من بطش الخديو بهم خصوصا أن حركتهم كانت ما تزال وليدة ومن السهل القضاء عليها، لذلك نجد أن جمال الدين الأفغانى لجأ فى عام ١٨٧٨ إلى المحافل الماسونية ذات النشاط السرى والمتمتعة بالرعاية الأجنبية ويحث تلاميذه على الانضمام إليها، ولكنه سرعان ما خاب ظنه فيها بعد أن وجد أنها مرتبطة بدول استعمارية، وخلال ذلك علم النديم بوجود جمعية سرية بالإسكندرية تهدف إلى قلب نظام حكم الخديو إسماعيل وهى (جمعية مصر الفتاة) فانضم إليها لفترة، ولما أحس أن العمل

السرى لا يتفق مع طبيعته الشعبية تركها، واستطاع أن يؤسس بمساندة بعض أصدقائه جمعية علنية تحت اسم (الجمعية الخيرية الإسلامية) حيث زاول فيها نشاطه السياسى العلنى بجانب نشاط الجمعية الاجتماعى والثقافى.

وبينما كان النديم ينبه الأذهان إذا بالأخبار تعلن عن إجبار الخديو إسماعيل على التنازل عن العرش وتولية ابنه توفيق مكانه، فاستقبلت البلاد هذا النبأ بالابتهاج وشمل الناس السرور لحدوث مثل هذا الأمر الخطير دون وقوع اختلال أو حدوث ما يكدر صفو الأمن، ولما كان الخديو توفيق قبيل اعتلائه أريكة الخديوية يتودد إلى الأفغانى ويتقرب من أنصاره، مؤكدا له - كلما قابله - اعتماده عليه فى تحقيق الإصلاح المنشود بقوله: "إنك أنت موضع أملى فى مصر أيها السيد" مما دفع الأفغانى إلى المناداة بتوليته ولكن ما إن استقرت له الأمور حتى نسى وعوده وغدر بأصدقائه وضاق ذرعا بالأفغانى، حين طلب منه أن يكون حاكم عدل فتخلص منه، كما سجن ونفى كل من اعترضه أو حاول نقده. ومع أن معظم الوطنيين قد تركوا ميدان الكفاح العلنى وتفرقوا خوفا من بطش الخديو الجديد فقد ظلوا أوفياء مخلصين لأستاذهم معترفين بفضله وغزير علمه، كما أن روح الثورة التى أيقظها الأفغانى لم تنطفئ بنفيه من البلاد بل امتد أثرها، وكانت الثورة العرابية إحدى ثمراتها.